جامعة حائل

كلية التربية الاساسية

قسم التاريخ

المحاضرة الثالثة

محاضرات عصر الرسالة

م.د. أزهار غازي

٢٠١٥ م

١٤٣٦هـ

الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية اشتدت قريش على المؤمنين من أهل مكة « فأمر رسول الله ﷺ بالخروج الى المدينة وهي الفتنة الآخرة، التي أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه وخرج، وهي التي أنزل الله عزّ وجل فيها: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلّه لله (٨٤)﴾ (٨٥).

سادسا: الهجرة الى المدينة:

لقد سعى الرسول ﷺ بعد أن تمت بيعة العقبة الثانية مع أهل المدينة في شهر ذي الحجة من السنة الثانية عشرة للبعثة على تشجيع اصحابه المكيين للهجرة الى المدينة قبل أن يهاجر هو بنفسه وذلك من أجل توجيه عملية الهجرة والاطمئنان على وصول اتباعه الى المدينة بسلام واستقرارهم فيها.

يقول ابن اسحاق أنه حين أمر الرسول ﷺ أصحابه المكيين « بالخروج الى المدينة والهجرة اليها، واللحوق باخوانهم من الأنصار، وقال: ان الله عزّ وجل جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها. فخرجوا أرسالا – أي جماعة في اثر جماعة –، واقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، والهجرة الى المدينة » (٨٦).

وقد حاول المهاجرون ان يحيطوا أمر مغادرتهم لمكة بجو من الهدوء والسرية كي لايثيروا حفيظة قريش عليهم فتعمد الى منعهم من الهجرة واضطهادهم « فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك » (٨٧). غير ان المحافظة على سرية الهجرة في مدينة صغيرة مثل مدينة مكة كانت أمرا في غاية الصعوبة وبخاصة وأن بعض الأسر قد هاجرت بأكملها مثل بني مظعون وبني جحش بن رئاب البكير« فان دورهم غلقت بمكة هجرة، ليس فيها ساكن » (٨٨).

ويبدو ان بعض الأسر المكية قد حاولت منع ابنائها من الهجرة باستخدام القوة ضدهم وعملت على فتنتهم عن دينهم. فقد ذكر ابن اسحاق أن عمر بن الخطاب حينما أراد

---

(٨٤) سورة الانفال، الآية ٣٩.

(٨٥) الطبري: تاريخ، ج ٢، ص ٣٦٦، ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٢٦.

(٨٦) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٦٨.

(٨٧) ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٢٦.

(٨٨) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٩٩.

الهجرة الى المدينة اتفق مع عياش بن ابي ربيعة ، وهشام بن العاصي على ان يلتقوا في وقت ومكان محدد ، فان تخلف أحدهم عن الموعد فمعنى ذلك أنه قد حبس فليمض صاحباه. فلما حان الوقت المتفق عليه ، حضر عمر بن الخطاب وعياش بن ابي ربيعة وحبس هشام «وفتن وافتتن»(٨٩) .

وقد مارس زعماء المشركين الضغط على الموالي والمستضعفين لمنعهم من الهجرة. فقد ذكر ابن هشام ان «صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا. فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لايكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ قال : نعم ، قال : فاني جعلت لكم مالي قال : فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب»(٩٠) .

وقد ترتب على الهجرة انقسام بين أفراد الأسرة الواحدة في حالة اختلافهم في العقيدة ، فقد رفضت زوجات بعض المسلمين ممن كن لازلن على الشرك الهجرة مع ازواجهن الى المدينة ، فأمر الله المسلمين بطلاقهن : ﴿ولا تأخذوا بعصم الكوافر﴾(٩١) ، كما أشار الى مثل هذه الحالات بقوله : ﴿ان من ازواجكم وأولادكم عدو لكم فأحذروهم﴾(٩٢) . كما ان بعض النساء المؤمنات تركن ازواجهن الكفار وهاجرن الى المدينة. وقد أشار القرآن الكريم اليهن بقوله : ﴿ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله اعلم بايمانهن ، فان علمتوهن مؤمنات فلا ترجعونهن الى الكفار لا هنّ حِلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن ، وآتوهم ما انفقوا﴾(٩٣) . وكان ممن هاجرن من المؤمنات ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ، وأميمة بنت ليث ، وقد قام المسلمون بدفع صداقهما الى زوجيهما الكافرين(٩٤) .

ويلاحظ ان متطلبات الهجرة في ذلك الوقت لم تكن سهلة. ، وبخاصة لضعفاء الناس وفقرائهم ، فكان بعضهم يضطر للسفر على قدميه من مكة الى المدينة نظرا لعدم

(٨٩) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٧٤ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٧٧ .

(٩١) سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .

(٩٢) سورة التغابن ، الآية ١٤ .

(٩٣) سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .

(٩٤) العلي : الدولة في عهد الرسول ، ص ٨٣ .

وجود راحلة يستعين بها في سفره. فقد ذكر ابن سعد أن المهاجرون كانوا يخرجون من مكة الى المدينة مشاة وركباناً «أما أهل القوة فركبان ويعتقبون، وأما من لم يجد ظهرا فيمشون»(٩٥).

وعلى الرغم من كل المصاعب التي كانت تقف وراء الهجرة وتحيط بها، فقد هاجر المسلمين من مكة الى المدينة، وكان عدد المهاجرين سبعين مسلما(٩٦)، ولم يبق في مكة أحد من المسلمين «الاّ من حبس او فتن»(٩٧).

ويبدو أن عدد المحبوسين والمفتونين عن دينهم في مكة لم يكن قليلا، لذا فقد استحق الموضوع معالجة القرآن له في عدة آيات نحو قوله تعالى: ﴿الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم، قالوا كنّا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا، الاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله غفورا رحيما﴾(٩٨)

وتشير المصادر الى ان المسلمين حينما هاجروا من مكة تركوا دورهم أمانة عند قومهم، فحافظ قسم منهم عليها ولم يمسها بسوء، في حين تصرف القسم الآخر بها وباعها. لذا فقد قام حسان بن ثابت بمدح من أمسك على «دور من هاجر من قومه عليهم، وذم بعض من باع دور من هاجر من قومهم»(٩٩). وقد ذكر ابن اسحاق انه «لما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم، عدا عليها ابو سفيان بن حرب فباعها..»(١٠٠) كما ان عقيل بن ابي طالب قام بأخذ البيت الذي ولد فيه الرسول ﷺ وباعه بعد هجرته وكذلك فعل معتب ابن أبي لهب بأخذه بيت خديجة زوجة الرسول ﷺ وبيعة(١٠١).

---

(٩٥) ابن سعد: **الطبقات**، ج ٣، ص ٢٧١.

(٩٦) وات، **محمد في مكة**، ص ٢٣٦.

(٩٧) ابن هشام: **السيرة**، ق ١، ص ٤٨٠.

(٩٨) سورة النساء، الأية ٩٧-٩٩.

(٩٩) ابن بكار، الزبير: **جمهرة نسب قريش وأخبارها**، القاهرة ١٣٨١ هـ، ج ١، ص ١٦٠-١٦١.

(١٠٠) ابن هشام: **السيرة**، ق ١، ص ٤٩٩.

(١٠١) الأزرقي: **أخبار مكة**، ج ٢، ص ٢٤٥-٢٤٦.

وهكذا كانت الهجرة عملا عظيما بكل ما تنطوي عليه من تضحية بالأهل والوطن والمال في سبيل الحفاظ على حرية الفكر والعقيدة، فلا عجب ألا يستطيع الاقدام عليها الا الصفوة من المؤمنين الصادقين.

سابعا: هجرة الرسول ﷺ الى المدينة:

مكث الرسول ﷺ في مكة بعد بيعة العقبة الثانية بقية ذي الحجة وشهري محرم وصفر، تمت خلالها هجرة جميع أصحابه الى المدينة عدا من حبس او افتتن[١٠٢]. ولم يبق مع الرسول ﷺ في مكة سوى علي بن ابي طالب وأبي بكر الصديق بناء على طلبه.

ويبدو أن زعماء المشركين في مكة قد أدركوا خلال هذه الفترة مخاطر نجاح الهجرة على مصالحهم الاقتصادية والسياسية والدينية، فاجتمعوا في دار الندوة للتشاور فيما يجب عليهم عمله لمواجهة الموقف. قال ابن اسحاق «ولما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارا، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ اليهم، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة – وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لاتقضي أمراً الا فيها – يتشاورون فيها مايصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه»[١٠٣].

وقد أشير الى انه قد حضر اجتماع الندوة عدد من زعماء قريش الذين يمثلوم عشائر نوفل وعبد شمس وعبد الدار وأسد ومخزوم وسهم وجمح، ويلاحظ ان هذه العشائر كانت قد اتخذت موقفا مناوئا للعشائر المكية التي ساهمت في حلف الفضول والتي كان بضمنها عشيرة الرسول ﷺ، أي بنو هاشم[١٠٤]، فلا عجب ان تعمل على اتخاذ موقف شديد من رسول الله ﷺ.

لقد ذكر ابن اسحاق ان زعماء المشركين تداولوا في حبس الرسول ﷺ او نفيه خارج مكة او قتله. وقد أجمع رأيهم أخيرا على قتل الرسول ﷺ استنادا الى خطة اقترحها ابو

---

(١٠٢) ابن الزبير: مغازي رسول الله، ص ١٢٨.

(١٠٣) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٨٠.

(١٠٤) المصدر نفسه، ق ١، ص ٤٨١، وانظر: محمد في مكة، ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

جهل بن هشام وهي حسب قوله : «نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه»[١٠٥] ، وبذلك يتفرق دمه في العشائر جميعا ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم فيرضون بأخذ الدية[١٠٦] .

وقد ذكرت المصادر ان الرسول ﷺ قد عرف بهذه الخطة وأشار اليها القرآن الكريم بقوله : ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[١٠٧] ، لذا فقد سارع الرسول ﷺ الى اعداد خطة الهجرة الى المدينة بصورة تعتمد أعلى درجات السرية من أجل احباط خطط المشركين ومكرهم[١٠٨] .

وكانت خطة الرسول ﷺ في الهجرة تقوم على تكليف علي ابن ابي طالب في المبيت في فراشه كي يوهم المشركين بأنه مازال في داره ليلة الهجرة ، ثم يقوم باصطحاب ابي بكر الصديق (رض) في هجرته الى المدينة .

وقد قام ابو بكر الصديق بشراء راحلتين للسفر واستأجر دليلا اسمه عبدالله بن أرقط ليصحبهما في سفرهما . كما تولى ابو بكر مع الرسول ﷺ وضع خطة مغادرتها مكة وتأمين وصول الطعام اليها بطريقة لاتسمح لقريش باكتشاف موضع اختفائها . وقد ذكر ابن اسحاق ان الرسول ﷺ وأبا بكر خرجا بصورة سرية الى غار بثور ، وهو جبل بأسفل مكة فدخلاه ، وبقيا فيه ثلاثة أيام مختفين يعيشون على لبن أغنام كان يرعاها عامر بن فهيرة مولى ابي بكر الصديق بالاضافة الى طعام كانت تأتيهم به اسماء بنت أبي بكر[١٠٩] . حتى اذا خف الطلب وبئست قريش من العثور عليهما خرجا من الغار واتجها صوب المدينة سالكين طريقا غير الطريق الاعتيادي المألوف الذي كان يسلك الوديان والسهول الساحلية ، وكان ابو بكر يعرف هذا الطريق وأهله من سفراته السابقة الى بلاد الشام»[١١٠] .

---

(١٠٥) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٨٢ .

(١٠٦) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٨٢ .

(١٠٧) سورة الأنفال ، الآية ٣٠ .

(١٠٨) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص ٤٨٤-٤٨٥ .

(١٠٩) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٤٨٤-٤٩٢ .

(١١٠) العلي : الدولة في عهد الرسول ، ص ٧٨ .

لقد استغرقت رحلة الرسول ﷺ الى المدينة منذ أن غادر الغار في جبل ثور في ٤ ربيع الأول، الى ان وصلها في ١٢ ربيع الأول من عام ١٣ للبعثة المصادف ٢٤ ايلول سنة ٦٢٢ م، ثمانية ايام. وكان يصحبه في هذه الرحلة ابو بكر الصديق ودليلهما عبدالله بن أرقط وعامر بن فهيرة(١١١).

لقد كان أهل المدينة يترقبون وصول الرسول ﷺ كل يوم الى مدينتهم بفارغ الصبر بعد أن سمعوا بخروجه من مكة، وقد ذكر أنهم كانوا يخرجون للقائه في كل يوم من بعد صلاة الصبح ويبقون في انتظاره حتى يشتد عليهم الحر فيعودون الى بيوتهم. وقد وافق وصول الرسول ﷺ قباء وهي ضاحية على حدود المدينة في وقت الظهر، وكان الأنصار قد عادوا الى بيوتهم فشاهده أحد اليهود فراح ينبه أهل المدينة بقوله: يابني قيلة هذا جدكم قد جاء(١١٢). فخرج أهل المدينة لاستقباله فرحين. وقد قدّم لنا أنس بن مالك وصفا لاستقبال أهل المدينة للرسول ﷺ وحفاوتهم به بقولهم: «اني لاسعى في الغلمان يقولون جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئا، ثم يقولون جاء محمد فأسعى ولا أرى شيئا، قال حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه ابو بكر. فكنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بها الأنصار فاستقبله زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا اليها فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم فخرج أهل المدينة حتى ان العواتق -أي الحرائر الشريفات- لفوق البيوت يتراءينه يقلن أيهم هو، أيهم هو؟ فما رأينا منظرا شبيها به»(١١٣).

ان الوصف المتقدم يدل على ان وصول الرسول ﷺ الى المدينة كان بمثابة عيد للمسلمين حيث خرج لاستقباله حوالي خمسمائة رجل من الأنصار معبرين عن ترحيبهم وسرورهم بمقدمه. وقد شاركهم في التعبير عن هذه المشاعر النساء والأطفال.

ولم يعكر صفو هذا الاستقبال الحافل اي مظهر من مظاهر المعارضة او الاستياء المعلن من غير المسلمين، سواء أكانوا من المشركين ام من اليهود مما يدل على قبولهم الضمني لهجرة الرسول ﷺ وأصحابه الى المدينة.

---

(١١١) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٨٧، ٤٩١-٤٩٢، ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٣٢-٢٣٣، وات: محمد في مكة، ص ٢٣٨.

(١١٢) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٩٢.

(١١٣) ابن كثير: السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٨١-٤٨٢، السمهودي: وفاء الوفا، ج ١، ص ٢٥٥.

وهكذا فقد تشكل موقف أهل المدينة من الرسول ﷺ استنادا الى المعطيات الاجتماعية والعقائدية على النحو الآتي :

١. المسلمون من الأوس والخزرج ، وكان ولاؤهم للرسول ﷺ كاملا بحكم ايمانهم بأنه رسول الله اليهم ومبايعتهم له على السمع والطاعة. وكان يشاركهم هذا الموقف بطبيعة الحال اخوانهم المهاجرون الذين وصلوا الى المدينة قبل وصول الرسول ﷺ بفترة وجيزة.

٢. المشركون من الأوس والخزرج ، وكان موقفهم يقوم على التضامن مع قومهم المسلمين استنادا الى الأعراف والتقاليد العربية التي توجب على ابناء القبيلة التضامن واحترام حقوق بعضهم بعضا في منح حق الجوار لمن يطلبه واقامة التحالفات مع الأفراد والجماعات.

٣. اليهود ، كان يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وغيرهم من يهود المدينة حلفاء للأوس والخزرج. ومن ثم فقد كانوا ملزمين باحترام عهود حلفائهم والتضامن معهم في مواقفهم العامة. لذا فقد اظهر اليهود ترحيبهم بمقدم الرسول ﷺ الى المدينة. وربما توقعوا أن تجلب هجرة الرسول ﷺ الى مدينتهم الأمن والاستقرار الذي افتقدته بسبب الصراع الشديد بين مختلف الفئات المتنافسة.

لقد كان عمر الرسول ﷺ حين وصل المدينة حوالي ثلاث وخمسين سنة ، أمضى ثلاث عشرة سنة منها بدعوة قومه الى الاسلام ، فلم يستجب له منهم الاّ القليل ، وقد هاجروا معه الى المدينة ، موطن الدعوة الجديد ، فكيف ستكون السنوات القادمة بين هؤلاء المؤمنين الجدد ، وما المصاعب والتحديات التي سيواجهها على طريق بناء مستقبل الدعوة في مرحلتها الجديدة.

ان للباحث ان يتصور ان الرسول ﷺ قد دخل المدينة وهو يتمثل في ذهنه الآيات القرآنية التي أذن الله تعالى له بموجبها في الهجرة من مكة الى المدينة[١١٤] : ﴿وقل ربّ ادخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا﴾[١١٥].

---

(١١٤) ابن كثير: السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٣٦٠.

(١١٥) سورة الاسراء ، الآية ٨٠.